

الأحواز⁽¹⁾

ضرورة حلّ أزمة التسمية

احتدّت الأزمة حول تسمية الوطن بين الأحوازيين في السنوات الأخيرة، وكان أطراف الصراع فيها هم أبناء الوطن الواحد، فأقحم عدد من التنظيمات السياسيّة الأحوازيّة نفسه في هذا الصراع، الأمر الذي أدى إلى تفاقم الأزمة لتلقي بظلالها ليس على المجتمع الأحوازي فحسب، بل حتى على الشارع العربي المتابع للقضية الأحوازيّة. وفي الوقت الذي تبلغ فيه أزمة التسمية ذروتها، يتطلع أبناء الوطن إلى ضرورة إيجاد حلّ ملائم يرضي جميع الأطراف، لذا كان لا بد من إيجاد آلية قد تساهم بشكل أو بآخر في إنهاء الجدل القائم حول التسمية، فما هي الطريقة المثلى التي من شأنها أن تلبيّ تطلعات الشعب الأحوازي لتسوية هذا النزاع؟

أهدرت أزمة تسمية الأحواز الكثير من الطاقات الوطنيّة، فخصّصت من أجلها أوقات كثيرة ومبالغ طائلة فسالت كميات هائلة من أحبار أقلام الكتاب الأحوازيين ومتفقيهم، وجمعت من أجلها الكتب والمراجع والمصادر، حتى أنها أصبحت الشغل الشاغل بالنسبة إلى البعض من اعتبرها أمانة وطنيّة تستوجب الدراسة والبحث والإهتمام، ومع كل هذا فإن النتيجة الحتميّة لهذا الجدل هي المزيد من الاحتدام في الأفكار والآراء دون التوصل إلى حلّ أزمة التسمية المستفحلة لدى الأحوازيين الذين تميّزوا عن غيرهم من أبناء شعوب المنطقة بنزعتهم العربيّة وبتوجهاتهم الفكرية وباختلافاتهم حول التسمية والعلم الوطنيّين.

الإستثناء الأحوازي:

لا ريب أن الشعب الأحوازي يخضع لهيمنة الدولة الإيرانيّة منذ أكثر من ثمانية عقود من الزمن، وإضافة إلى هذا الشعب فإننا نجد شعوب أخرى كالأتراك الأذريين والأكراد والبلوش والتركمانيّين وحتى الفرس، تخضع هي الأخرى لهيمنة الدولة الإيرانيّة، ولكن ما يميّز الأحوازيين عن غيرهم من أبناء الشعوب المذكورة، هو قدرتهم الكبيرة على خوض المعارك الضارية وتفجير الانتفاضات العارمة وتسيير المظاهرات الحاشدة ضدّ النظام الإيراني متى شاءوا، ولا نجد مثل هذه الصفات لدى بقية الشعوب الخاضعة لنفوذ وهيمنة الدولة الإيرانيّة، وبذلك يشكل الأحوازيين استثناءً فريداً من نوعه في المنطقة.

وغالباً ما يختلف أبناء الوطن الواحد حول الطريقة المثلى لإدارة شؤون هذا الوطن، وفي حال وقوعه تحت السيطرة الأجنبيّة فمن الطبيعي جداً أن يختلف أبناءه حول كيفية إدارة الصراع ضدّ هذا الأجنبي على غرار ما شاهدناه في الحالة الفلسطينيّة حيث تعددت الفصائل الفلسطينيّة بين اليسار واليمين وبين العلمانيّ والإسلامي ولكن على الدوام كان الهدف واحد وهو تحرير "فلسطين"، أما في الحالة الأحوازية فإن السبب في الصراع بين أبناء الوطن الواحد، هو الوطن ذاته، وبذلك كان اسم الوطن الأحوازي الجريح ضحية لصراع الأبناء ليتنوّع بين الأهواز وعربستان والأحواز وعيلام والسوس وسوزا وسوزيانا، وليشكل استثناءً فريداً من نوعه قد لا نجده في أيّ مكان آخر في العالم.

ويفترض أن تكون الراية الوطنيّة رمزاً للوطنية والنضال، يلتف الجميع حولها ويسير أبناء الوطن الواحد تحتها أو خلفها حين ترفع، كما يفترض أن يحرص الجميع على أن تبقى هذه الراية عالية خفاقة، وذلك نظراً لما تحمله الراية من دلالات رمزية ومعنوية تصل إلى حدّ القدسيّة في الكثير من الحالات. أما في الحالة الأحوازيّة، ففي الوقت الذي تجتمع فيه كافة التنظيمات السياسيّة الأحوازية على راية واحدة، ينفرد إخوتنا في "حركة التحرير الوطنيّ الأحوازي" براية مختلفة، ولأنّ التنظيم المذكور يمتلك وزناً وثقلاً سياسياً لا يستهان به، فإن النتيجة الحتميّة هي الانشقاق في الصفّ الأحوازي حول العلم، وبالتالي يكون للوطن الأحوازي الواحد علمان مختلفان بالألوان والرموز، ويعدّ ذلك استثناءً قد يستحيل إيجاده هو الآخر في أيّ من الأوطان في العالم.

التسميات والمبررات:

تعددت تسميات الوطن، إذ يتغنى الأحوازيون بتسمية وطنهم كما يحلو لهم، أو وفقاً للمكانة التي يحتلها هذا الوطن في قلوبهم وفي عقولهم، فنجد من يسميه "بالأحواز" وهناك من يسميه "بالأهواز" والآخر يسميه "عربستان"، وفي ذات الوقت، يتفق الجميع على أن التسميات التاريخية لهذا الوطن هي "عيلام" و"السوس" و"سوزيانا" و"سوزا"، ولكل مبرراته المادية أو المعنوية، ويسند ادعاءاته إلى الوثائق والأدلة والبراهين العلمية والمنطقية. فبعد أن كان يسمّى بامارة "المحمرّة" أو "عربستان"، أطلق الفرس على الإقليم العربي تسمية "خوزستان" عام 1936، وذلك بغية محو هويته العربية وطمس معالمها، ولعل الأفضل ما في الأمر هو إجماع الأحوازيين على معاداة تسمية "خوزستان"، وبالمقابل فإن الأسوأ هو اختلافهم حول الاتفاق على إحدى التسميات المطروحة أعلاه، الأمر الذي يثير الاستغراب والتساؤل حتماً، فما هي المبررات الكامنة وراء كل هذه التسميات!؟.

أولاً: دعاء الأحواز:

يستند دعاء تسمية الأحواز إلى العديد من المصادر والمراجع التاريخية، منها قديمة وأخرى حديثة، وإلى جانب المصادر الموثقة، تحمل تسمية الأحواز دلالات معنوية واعتبارات رمزية للنضال العربي الأحوازي ضد النظام الإيراني رداً من الزمن، خاصة وأن الفرس لا يلفظون حرف الـ: "حاء" في كلامهم، وبذلك يميّز الأحوازيون أنفسهم عن الفرس بلفظهم لهذا الحرف، ومن هنا تكتسب تسمية الأحواز اعتباراً معنوياً لتصدّي الهجمة الفارسية الشرسة تجاه الأحواز.

ولا يزال يعتقد الكثير من الأحوازيين بأن التسمية الحقيقية للوطن هي "الأحواز" وليست "الأهواز" وبالرغم من ذلك فأنهم يلفظونها "الأهواز" في حديثهم اليومي وفي لهجتهم وفي مجالسهم وحتى في بيوتهم، وتجدر الإشارة هنا إلى أن النظام الإيراني يكن بغضاً شديداً وكراهية مفرطة تجاه تسمية "الأحواز"، ويعاقب كل من يسميها بذلك، لذا فإن العديد من الأحوازيين يتمسكون بهذه التسمية ويعتبرونها شكلاً من أشكال النضال والتصدي للهجمة الفارسية تجاههم.

وإلى جانب الوثائق والدراسات، يبني دعاء الأحواز ادعائهم على حجج معنوية – بيننا البعض منها سابقاً -، وإن الحديث عن هذه الحجج يقودنا إلى تلك الحجة المعنوية التي تمسك بها الشاعر العراقي القدير "الجواهري" الذي كان يسمّى العراق بالعراق في أشعاره، فحين تعرّض الأخير إلى انتقادات شديدة من قبل الأدباء وعلماء اللغة العراقيين على أساس أن التسمية الصحيحة هي العراق (بكسر العين)، وليست العراق (برفع العين) كما يلفظها الجواهري بلهجته الجنوبية، فأجاب الشاعر قائلاً: "هم يريدون كسر عيئها وأنا أريد رفع عيئها". وبذلك اسند الشاعر حجته إلى دلالة معنوية بحتة وبعيدة كل البعد عن المنطق العلمي، إلا أن حجته المعنوية كانت كفيلة إلى حدّ ما بإسكات خصومه من الأدباء والعلماء في اللغة، حتى وإن كان هذا السكوت مؤقتاً وليس أبدياً.

وبناءً على ما تقدّم، يمكننا تفهّم تمسك دعاء الأحواز بتسمية "الأحواز"، وذلك انطلاقاً من استنادهم إلى المصادر والمراجع التاريخية الموثقة، وانتهاءً بما تحمله هذه التسمية من دلالات واعتبارات رمزية ومعنوية، ربما تستدعي الاحتفاظ بهذه التسمية إلى أن يقضي الله أمراً كان مكتوباً. ومن أبرز دعاء الأحواز حالياً نجد: "الجبهة الديمقراطية الشعبية للشعب العربي الأحوازي" و"المنظمة العربية لتحرير الأحواز" و"حركة التحرير الوطني الأحوازي" و"التيار الديمقراطي الوطني العربي الأحوازي" وحزب النهضة الأحوازي و"حركة التجمّع الوطني في الأحواز".

ثانياً: دعاء الأهواز:

شانهم شان "الأحوازيين"، يبني "الأهوازيين" ادعائهم على أسس علمية من خلال الوثائق والمصادر والمراجع التاريخية القديمة والحديثة، - لستنا في صدد الخوض فيها وسردها الآن كونها

تستدعي دراسة مخصصة كما هي الحال بالنسبة إلى التسميات الأخرى -، إلا انه لايد من الإشارة هنا إلى البعض من المبررات الكامنة وراء تمسك دعاة الأهواز بهذه التسمية. ولعل العامل المادي والمعنوي الأبرز يكمن في كون كافة سكان الإقليم يتمسكون بتسمية الأهواز في لهجتهم وفي حديثهم اليومي، كما إننا نجد ذات التسمية - الأهواز - تلفظ في البلدان الخليجية العربية القريبة من الإقليم، ويعد ذلك مبرراً قد يستدعي التمسك به من قبل دعاة الأهواز.

ويُدعى "الأهوازيون" أن "حزب البعث العربي الاشتراكي" الذي تسلم زمام الحكم في العراق منذ عام 1968، قد روج لتسمية "الأحواز" وذلك انطلاقاً من أهدافه ومقاصده الكامنة في إلحاق إقليم الأحواز بإقليم العراق ضمن إشارة واضحة وصريحة على أن الأحواز كانت تتبع لولاية البصرة إلى حد تسميتها بأحواز البصرة في العديد من الكتب والمراجع العراقية، خاصة وان الأحواز كمصطلح تعني الحيازة والحوز على الشيء وبالتالي امتلاكه، لذا فإن المنشورات والإصدارات التي تزامنت مع فترة حكم البعثتين في العراق قد اعتمدت تسمية الأحواز إلى جانب تسمية عربستان في أغلب الحالات، وذلك دون إشارة واضحة وجليّة إلى تسمية الأهواز.

وبذلك يكون دعاة الأهواز، هم الآخرين يبنون ادعاءاتهم على عدة اعتبارات معنوية ورمزية، ولكنهم يعتمدون كثيراً على الأدلة والبراهين العلمية المقتبسة من العديد من المراجع والصادر التاريخية الموثوقة، ونجد "حزب التضامن الديمقراطي الأهوازي" من أبرز المدافعين والمروجين لتسمية الأهواز، علماً أنّ هذا الحزب الفتى يعتمد كذلك تسميتي "الأحواز" و"عربستان" ضمن برنامج السياسي.

ثالثاً: دعاة عربستان:

من المعروف أن عربستان تتألف من كلمتين وهما: "عرب" و"أستان"، وقد أطلق كل من الفرس والعثمانيين الأتراك هذه التسمية على إقليم الأحواز إبان فترة الحكم العربي فيها وأثناء احتداد الصراع بين القوتين حولها، لذا يبدو أن دعاة تسمية عربستان هم أقلّ عرضة من غيرهم للانتقادات من قبل الآخرين، خاصة وأنهم يستندون في ادعاءهم إلى أساس قانوني، كون عربستان تعدّ التسمية القانونية للإقليم الذي كان يعرف "بإمارة عربستان" حتى سقوط آخر حكام الأسرة الكعبية الشيخ خزعل بواسطة جيوش الحاكم الإيراني رضا خان بهلوي.

وتجدر الإشارة إلى أن التنظيمات السياسية الأحوازية الفاعلة في الوقت الراهن والتي أدرجت مبدأ "الحكم الذاتي" لإقليم عربستان ضمن أولويات أهدافها، قد تمسكت بهذه التسمية، ومن أبرز هذه التنظيمات نجد "الحزب الوطني العربستاني" و"حركة التجمع الوطني في عربستان" التي اعتمدت تسمية الأحواز إلى جانب عربستان في السنوات الأخيرة.

التوجه نحو حلّ أزمة التسمية:

إن حدة الصراع حول تسمية الوطن، بات أمراً ملفتاً للانتباه، كما يمكن وصفه بالأمر الخطير الذي من شأنه أن ينعكس سلباً على سير العمل السياسي والتنظيمي الأحوازي، خاصة وانه قد بلغ إلى حدّ تبادل الاتهامات بين الأحوازيين والأهوازيين، إذ ادعى الأهوازيون بأنهم قد تعرّضوا للاتهام بالعمالة² من قبل البعض من دعاة الأحواز بسبب تمسكهم بتسمية الأهواز، كما وجهوا الاتهام ضمناً إلى دعاة الأحواز بأنهم يقدمون خدمة مجانية للشوفينية الفارسية من خلال إصرارهم على التسمية، ولكن دون إشارة واضحة إلى الجهة أو الجهات المخاطبة.

ومهما يكن الأمر فإن جميع الأطراف الأحوازية تناضل بمنتهى الصدق والوطنية والإخلاص من أجل خلاص الوطن من نير الهيمنة الفارسية الإيرانية، كما يشعر الجميع بالحاجة الملحة والماسة لهذا الوطن ويؤمن بضرورة تحريره من الظلم والاستبداد، ورغم كل هذا، يبقى الصراع حول تسمية الوطن قائماً بين بعض الأطراف الوطنية الأحوازية قبل تحرير الوطن!

ولا نرى بأساً هنا من التذكير بما قاله الزعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات حين توجهت له الصحافة بالسؤال: "لماذا تتمسك بارتداء الزي العسكري على الدوام، ولا نراك يوماً وأنت ترتدي البدلة والرباط؟"، فأجابهم الأخير قائلاً: "أعطني وطناً وسوف ارتدي لكم لباساً رياضياً". والقصد من الاستدلال بمقولة الزعيم الراحل أبو عمار، هو أننا - الأحوازيين والأهوازيين والعربستانيين - بأمر الحاجة إلى الوطن في حد ذاته والتي تفوق أهميته على أهمية التسمية إلى حد كبير، فماذا نفعل بالتسمية في الوقت الذي يقطع فيه النظام الإيراني أوصال الشعب والوطن الأحوازي؟

إنشاء لجنة مستقلة للبت في التسمية:

بما أن الصراع بين البعض من الأطراف الوطنية الأحوازية بقي قائم الذات دون التوصل إلى نتيجة ملموسة، لذا كان لا بد من التفكير الجاد في إيجاد حل لتسوية النزاع الحاصل، وذلك من خلال إنشاء "لجنة وطنية أحوازية مستقلة" عن كافة التنظيمات السياسية للبت في تسمية الوطن، وبالتالي فإنه من الضروري أن كافة التيارات الوطنية الموافقة أصلاً على تأسيس هذه اللجنة والمساهمة حتماً في اختيار أعضائها، تعتمد التسمية التي سوف تفضي إليها اللجنة المذكورة.

وينبغي أن يرشح كل تنظيم سياسي أحوازي، "شخصية وطنية أحوازية مستقلة"، على أن تكون هذه الشخصية كفؤاً للخوض في البحث العميق والدقيق في منتهى الإخلاص والصدق والأمانة، لأن النتيجة التي ستتوصل إليها هذه اللجنة، سوف تعتمد من قبل كافة التنظيمات الأحوازية الموافقة بالأساس على إنشاء اللجنة.

كما يفترض أن يكون عدد أفراد لجنة التسمية، فردياً وليس زوجياً، وذلك لترجيح الكفة لصالح الأغلبية من أعضاء اللجنة، وبالتالي حسم أمر التسمية الذي يكاد يقترب من أن يصبح قضية موازية للقضية الأحوازية، وذلك نظراً للأهمية البالغة التي يستحوذها من قبل العديد من الأحوازيين، لذا فإن الأوان قد حان لإنهاء الأزمة الأحوازية حول تسمية الوطن الجريح.

عباس عساكرة

02/01/2006

(1). لقد اعتمدت تسمية الأحواز في هذا المقال انطلاقاً من الضرورة التي تقتضيها كتابة المقال، حيث لا بد من اعتماد إحدى التسميات، إضافة إلى اعتمادي تسمية الأحواز في العديد من كتاباتي المتواضعة السابقة.

(2). راجع مقال للسيد "حسين الأهوازي" من "حزب التضامن الديمقراطي الأهوازي"، وقد نشره موقع الحزب بتاريخ: 15-11-2005
http://www.alahwaz.info/main/index.php?option=com_content&task=view&id=138&Itemid=2&lang